مدخل إلى

العلاقات الدولية

أزمة العولمة وآفاق العالمية

د. مروة فكري

تقديم: أ.د. نادية محمود مصطفى

دار الكتاب الحديث
القاهرة

دار الكتاب اللبناني
بيروت

مدخل إلى العلاقات الدولية

أزمة العولمة وآفاق العالمية

فهرسة أثناء النشر

اسم الكتاب: مدخل إلى العلاقات الدولية: أزمة العولمة وآفاق العالمية

تأليف: مروة فكري، تقديم: نادية محمود مصطفى

الطبعة الأولى: ٢٠٢١

رقم الإيداع: ٢٠٩٤٥/ ٢٠٢٠

الترقيم الدولي: ٥- ١٢١- ٤٥٣- ٩٧٧- ٩٧٨

الناشر: مركز الحضارة للدراسات والبحوث -دار الكتاب المصري اللبناني

حقوق النشر والطباعة محفوظة للناشرين
يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس
بأية صورة إلا بإذن كتابي من الناشرين

فكري، مروة

مدخل إلى العلاقات الدولية: أزمة العولمة وآفاق العالمية

تأليف: مروة فكري، تقديم: نادية محمود مصطفى

٥١٥ صفحة، ١٧× ٢٤ سم

تدمك: ٥- ١٢١- ٤٥٣- ٩٧٧- ٩٧٨

١- علاقات دولية

أ- العنوان: مدخل إلى العلاقات الدولية: أزمة العولمة وآفاق العالمية

رقم الإيداع: ٢٠٩٤٥/ ٢٠٢٠

الترقيم الدولي: ٥- ١٢١- ٤٥٣- ٩٧٧- ٩٧٨

مدخل إلى العلاقات الدولية

أزمة العولمة وآفاق العالمية

د. مـــــروة فكـــــري

تقديم:

أ. د. نادية محمود مصطفى

دار الكتاب المصرى
الْقَاهِـــرَة

مركز الحضارة للدراسات والبحوث
Civilization Center for Studies and Researches

دار الكتاب اللبنانى
بَيْـــرُوت

رقم الإيداع

٢٠٢٠/٢٠٩٤٥

I.S.B.N

978-977-453-121-5

مركز الحضارة للدراسات والبحوث

١٠ ش د. حندوسة - جاردن سيتي

القاهرة- جمهورية مصر العربية

www.hadaracenter. com

دار الكتاب المصري

القاهرة- ٣٣ شارع قصر النيل- تليفون: ٢٣٩٢٢١٦٨/ ٢٣٩٣٤٣٠١/ ٢٣٩٢٤٦١٤

ص. ب: ١٥٦ العتبة، الرمز البريدي ١١٥١١- القاهرة- ج. م. ع

فاكسميلي ٢٣٩٢٤٦٥٧ (٢٠٢)

دار الكتاب اللبناني

شارع مدام كوري- تجاه فندق بريستول- بيروت

تليفون: ٧٣٥٧٣٢ ص. ب: ٨٣٣٠-١١

بيروت- لبنان- فاكسميلي ٣٥١٤٣٣ (٩٦١١)

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ- ٢٠٢١م

First Edition

A.D. 2021- H 1442

Website: www.daralkitabalmasri.com

Email: info@daralkitabalmasri.com

● جميع الحقوق محفوظة لمركز الحضارة للدراسات والبحوث ولدار الكتاب المصري -القاهرة ودار الكتاب اللبناني -بيروت.

● لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء كانت «إلكترونية» أو «ميكانيكية» أو بالتصوير، أو بالتسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة الناشرَيْن على هذا كتابة ومقدمًا.

شكر.. وإهداء

هذا الكتاب لم يكن ليرى النور لولا الجهود والدعم المقدم من قبل العديد من الأشخاص. بداية، ما كان لهذا الكتاب أن يُسطر فيه خط واحد لولا تشجيع وثقة أستاذتي الغالية أ. د. نادية مصطفى. لقد عرفت أ. د. نادية منذ سنوات دراستي في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وكانت أول من فتح أعين الكثيرين من جيلي وأجيال سابقة ولاحقة على حركة المراجعة والنقد داخل حقل العلاقات الدولية. وكان لي الشرف أن أنهل من علمها أكثر طوال فترة الماجستير، وخلال التعامل البحثي مع مركز الحضارة في أكثر من مناسبة. ولقد كانت دومًا رسائل التشجيع وبث الثقة تصلني من أستاذتي في أكثر اللحظات التي أنا بحاجة إليها. كانت هذه الثقة التي أوكلتها لي بتشجيعي ثم تكليفي بالبدء في مشروع هذا الكتاب بمثابة الدافع الأساسي للاستمرار في لحظات ظننت فيها أن المشروع لن يكتمل. كما كانت مراجعتها الدقيقة وملاحظاتها القيمة مصدرًا أساسيًا في إثراء الكتاب، إلا أن أي تقصير أتحمل مسئوليته وحدي.

كما أتوجه بخالص الشكر إلى أسرة وفريق العمل في مركز الحضارة للدراسات والبحوث، وبصفة خاصة أ. ماجدة إبراهيم؛ على المساهمة القيمة في توفير الكثير من المصادر التي استند إليها الكتاب والمساعدة في توثيقها، وهي أمور يعلم الكثير من الباحثين مدى صعوبتها واستهلاكها للوقت، وكذلك أ. مدحت ماهر، ود. أميرة أبو سمرة على اقتراحاتهما المثمرة التي ساهمت في إثراء المحتوى.

كلمات الشكر لا توفي أبدًا حق أبي وأمي العزيزين اللذين لم ينقطع أبدًا دعمهما وتشجيعهما لي منذ الصغر، أطال الله في عمرهما ومتعهما بالصحة. ولا أجد الكلمات التي تعبر عن خالص شكري وامتناني لزوجي د. عمرو عثمان- والذي على الرغم من انشغاله الهائل، فإنه كان دومًا حريصًا على متابعة ومراجعة ما أكتبه.

وأخيرًا أهدي هذا الكتاب لابنيَّ العزيزين: فيروز ويوسف؛ عسى أن يكون عالمهما أكثر تنوعًا وتعددًا واحترامًا للاختلاف.

مروة محمود فكري

أبريل ٢٠٢٠م

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
قائمة الجداول والأشكال التوضيحية	١٣
قائمة الصناديق النصية	١٥
قائمة الأمثلة التطبيقية وقضايا للنقاش	١٨
تقديم أ. د. نادية مصطفى	١٩
مقدمة	٢٧
الفصل الأول: مقدمات نظرية	
مقدمة الفصل	٤٣
أولاً: النماذج المعرفية وعلاقتها بالتنظير: عالم واحد ورؤى متنوعة	٤٤
ثانيًا: العلاقات الدولية: النشأة والتطور	٥٠
المرحلة الأولى: الجدل الأول (١٩١٩- ١٩٣٩): بين المثالية والواقعية	٥٤
المرحلة الثانية: الجدل الثاني (١٩٥٠- ١٩٦٠): بين التقليدية والسلوكية	٥٦
المرحلة الثالثة: الجدل الثالث (١٩٧٠-١٩٨٩): الواقعية والتعددية والماركسية	٥٧
المرحلة الرابعة: الجدل الرابع: الوضعية العقلانية وما بعد الوضعية التأملية/ الانعكاسية: لم لا يزال علمًا أمريكيًّا؟	٥٩
ثالثًا: المنظورات الغربية الكبرى والواقع: ماذا ندرس؟ وكيف ندرس؟	٦٣
١- المنظور الواقعي	٦٣
٢- السلوكية	٦٧
٣- المنظور الليبرالي	٦٨

٤- المنظور الماركسي ٧٥
رابعًا: المنظورات الغربية الكبرى ومنظومة المفاهيم المرتبطة بها: أين غير الغربي في التنظير؟ ٧٨
خامسًا: منظور حضاري إسلامي مقارن: الخصائص والأبعاد النظرية ٨١
سادسًا: أزمة العولمة «النيوليبرالية» والاقترابات البديلة ٨٦
١- النظرية النقدية ٩١
٢- النظرية المعيارية ٩٢
٣- النظرية البنائية الاجتماعية ٩٤
٤- النسوية ٩٥
أهم النقاط التي تضمنها الفصل ٩٩
أهم المفاهيم والمصطلحات المتضمنة في الفصل ١٠٠
أسئلة للمناقشة ١٠١

الفصل الثاني: الفواعل الدولية ومستويات التحليل

مقدمة الفصل ١٠٥
أولاً: مستويات التحليل والفاعل الدولي ١٠٥
ثانيًا: الدولة القومية والعولمة: من هيمنة النموذج إلى نموذج الهيمنة ١١١
١- دولة وستفاليا وتهميش ما قبلها ١١٢
٢- مركزية الدولة-القومية في العلاقات الدولية ١١٦
٣- عناصر القوة القومية للدولة: ما بين العوامل المادية وغير المادية ١٢١
٤- صعود وهبوط الدول: ما بين الأبعاد المادية وغير المادية ١٣٣
٥- العولمة والدولة: عدو أم صديق؟ ١٣٧

٦- الدولة في منظورات أخرى: من التبعية إلى أزمة الهوية ١٤٣
ثالثًا: الفواعل من غير الدول: من العلاقات الدولية إلى السياسة العالمية ١٤٧
١- المستوى الكلي من منظور مقارن: النظام الدولي والأمة ١٥١
٢- المستوى التحليلي الجزئي: ما دون الدولة، وعبر القومي، والفرد ١٦٣
أهم النقاط التي تضمنها الفصل ١٩٠
أهم المفاهيم والمصطلحات المتضمنة في الفصل ١٩٢
أسئلة للمناقشة ١٩٣

الفصل الثالث: القوى المحركة للعلاقات الدولية

مقدمة الفصل ١٩٧
أولاً: الدعوة إلى القوة وقوة الدعوة ١٩٨
١- منظومة مفهوم القوة عند الواقعية ٢٠٠
٢- منظومات مفاهيم القوة من منظورات مقارنة ٢١٣
ثانيًا: منظومة القوة- المصلحة- الصراع- القيم من منظورات مقارنة ٢٢٠
١- القوة في مقابل القيم ٢٢٠
٢- الصراع في مقابل العمران ٢٢٤
ثالثًا: المؤسسات والاعتماد المتبادل والتعاون ٢٣٠
رابعًا: الماركسية: الرأسمالية وصراع الطبقات ٢٣٦
خامسًا: الدين والهوية: صراع الحضارات أم تدافعها؟ ٢٤١
سادسًا: التصورات والأفكار ٢٤٨
أهم النقاط التي تضمنها الفصل ٢٥٢
أهم المفاهيم والمصطلحات المتضمنة في الفصل ٢٥٦

أسئلة للمناقشة ٢٥٧

الفصل الرابع: العمليات الدولية وأدواتها

مقدمة الفصل ٢٦١
أولاً: المستوى الكلي للعمليات الدولية ٢٦٢
١- العولمة ٢٦٢
٢- تحولات النظام الدولي والتغيير العالمي ٢٦٦
٣- تحولات الاقتصاد السياسي الدولي وصعود النيوليبرالية وأزمتها ٢٧٦
ثانيًا: المستوى الجزئي للعمليات الدولية ٢٨٧
١- السياسة الخارجية ٢٨٧
٢- التجارة والاستثمار الدوليان والدور الاقتصادي للدولة ٢٩٧
٣- الإقليمية الجديدة ٣٠٤
٤- الحركات المناهضة للعولمة (النيوليبرالية) ٣٠٨
ثالثًا: الأدوات: أدوات تشغيل العمليات الدولية ٣١٠
١- الحرب والسلام ٣١١
٢- الدبلوماسية ٣١٧
٣- الأدوات الاقتصادية ودول الجنوب: المساعدات، العقوبات، الديون ٣٢١
٤- الإعلام الدولي: أداة أم قوة تأثير ٣٣١
رابعًا: مستقبل العولمة والطريق إلى العدالة والديمقراطية العالمية ٣٣٥
أهم النقاط التي تضمنها الفصل ٣٤٦
أهم المفاهيم والمصطلحات المتضمنة في الفصل ٣٤٩
أسئلة للمناقشة ٣٥٠

الفصل الخامس: القضايا العالمية المعاصرة

مقدمة الفصل ٣٥٣
أولاً: مفهوم الأمن: من الأمن العسكري القومي إلى الأمن الإنساني العالمي. ٣٥٤
ثانيًا: سياسات الهيمنة-التبعية والمقاومة الحضارية: دفع المظالم ٣٥٨
١- العالم الثالث في النظام الدولي: بين حركة عدم الانحياز والدعوة إلى نظام اقتصادي عالمي جديد ٣٦٠
٢- المقاومة الثقافية الحضارية ٣٧٣
ثالثًا: القضايا العسكرية-الأمنية السياسية ٣٧٨
١- الثورة ٣٧٨
٢- الصراعات والنزاعات المسلحة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة ٣٨٤
٣- الحرب الدولية على الإرهاب ٣٨٩
٤- الجريمة المنظمة ٣٩٣
٥- انتشار السلاح النووي وضبطه ٣٩٧
رابعًا: قضايا التنمية والفقر والتخلف ٤٠٠
١- الفقر والتفاوت ٤٠٢
٢- المجاعة ٤٠٥
٣- التنمية: ما بين فقر التنمية وتنمية الفقر ٤٠٨
خامسًا: قضايا قيمية جديدة ٤١٧
١- حقوق الإنسان ٤١٧
٢- التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية ٤٢٢
٣- اللجوء والهجرة القسرية ٤٢٩

٤- قضايا المرأة والعلاقات الدولية ٤٣٢
٥- قضية البيئة ٤٤٠
أهم النقاط التي تضمنها الفصل ٤٥١
أهم المفاهيم والمصطلحات المتضمنة في الفصل ٤٥٥
أسئلة للمناقشة ٤٥٦
خاتمة: نحو علم عالمي للعلاقات الدولية ٤٥٧
قائمة المراجع ٤٦٩

●●●

قائمة الجداول والرسوم التوضيحية

الموضوع — الصفحة

جدول (١) مقارنة بين النموذجين المعرفيين الغربي والإسلامي ٤٩

جدول (٢) مقارنة بين المثالية والواقعية ٥٥

جدول (٣) مقارنة بين الاتجاهين التقليدي والسلوكي في دراسة العلاقات الدولية . ٥٧

جدول (٤) مقارنة بين الواقعية والليبرالية والماركسية ٥٩

جدول (٥) مقارنة بين الواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة وفقًا لمعايير ديفيد بالدوين . ٧٥

جدول (٦) مقارنة بين المنظورات الوضعية الغربية ومنظور حضاري إسلامي في العلاقات الدولية ٨٥

جدول (٧) مقارنة بين العقلانية (الوضعية) والانعكاسية التأملية ٩٧

جدول (٨) مقارنة بين المنظورات الغربية الكبرى ومنظور حضاري إسلامي حول القوى المحركة للعلاقات الدولية والمفاهيم المرتبطة بها ٢٤١

جدول (٩) أبعاد المقارنة بين الاقترابات الانعكاسية ومنظور حضاري إسلامي . ٢٥١

جدول (١٠) مقارنة بين حجج مؤيدي ومعارضي العولمة ٢٦٦

جدول (١١) مقارنة بين الإقليمية التقليدية والإقليمية الجديدة ٣٠٧

جدول (١٢) أهم الاتفاقيات والمؤتمرات الدولية حول القضايا البيئية ٤٤٨

شكل توضيحي (١) العلاقة بين المنظور المعرفي والمنظورات والنظريات والمناهج والأدوات..... ٤٧

رسم توضيحي (٢) أقوى جيوش العالم ٢٠١٩-٢٠٢٠م..... ٢٠٠

شكل توضيحي (٣) الرؤية الإسلامية بمثابة منظومة مثلثية بين القوة والقيم والمقاصد..... ٢٢٢

●●●

قائمة الصناديق النصية

الموضوع	الصفحة
(١) العلاقات الدولية في التاريخ القديم	٥١
(٢) مبادئ ويلسون الأربعة عشر	٥٢
(٣) معاهدة وستفاليا	٥٣
(٤) أهم المقولات الأساسية في الواقعية	٦٦
(٥) أهم المقولات الأساسية للمثالية	٧٠
(٦) مدرسة التبعية في العلاقات الدولية	٧٧
(٧) أزمة حقل العلاقات الدولية	٩١
(٨) السيادة	١١٩
(٩) الجغرافيا السياسية	١٢٣
(١٠) ترتيب الدول في النظام الدولي	١٣١
(١١) الدولة عند ابن خلدون	١٣٧
(١٢) العولمة وعناصر الدولة	١٤١
(١٣) النظرية الوظيفية	١٥٣
(١٤) الأمة القطب	١٦١
(١٥) أزمة الرسوم الدنماركية	١٦٣
(١٦) القوى العظمى	١٩٩
(١٧) الردع النووي مقابل الردع التقليدي	٢٠٦
(١٨) التحالفات: ما لها وما عليها	٢٠٧

(١٩) نظرية الاستقرار المهيمن ٢١٢
(٢٠) المدرسة الإنجليزية (The English School) ٢١٦
(٢١) الاجتماع والعمران والعصبية عند ابن خلدون ٢٢٨
(٢٢) العناصر المكونة لنظرية ابن خلدون عن العمران ٢٢٩
(٢٣) التكامل الدولي ٢٣٢
(٢٤) نظرية المباريات ٢٣٥
(٢٥) المادية الجدلية ٢٣٧
(٢٦) نظرية الرأسمالية الاحتكارية عند لينين ٢٣٩
(٢٧) لماذا ستتصادم الحضارات؟ ٢٤٣
(٢٨) حوار الحضارات: رؤية إسلامية ٢٤٧
(٢٩) النظرية البنائية في العلاقات الدولية ٢٤٩
(٣٠) مراحل تحولات النظام الدولي «الحديث» ما قبل انتهاء الحرب الباردة ... ٢٦٧
(٣١) هيكل النظام الدولي ... إلى أين؟ ٢٧٢
(٣٢) مؤسسات بريتون وودز ٢٧٩
(٣٣) الأزمة المالية العالمية ٢٠٠٨ ..... ٢٨٤
(٣٤) سمات النموذج النيوليبرالي ٢٩٨
(٣٥) أزمة جنوب شرق آسيا ١٩٩٧ ..... ٣٠١
(٣٦) التجارة العادلة ٣٠٣
(٣٧) المنتدى الاجتماعي العالمي: عالم آخر ممكن ٣١٠
(٣٨) التقاليد الدبلوماسية في الإسلام ٣٢١

(٣٩) المساعدات الخارجية الأمريكية ٣٢٥
(٤٠) طريق الحرير ٣٤٤
(٤١) الأهداف الإنمائية للألفية ٣٧٣
(٤٢) مراحل النمو الاقتصادي عند روستو ٤٠٨
(٤٣) رؤية إسلامية لحقوق الإنسان ٤١٩
(٤٤) المحكمة الجنائية الدولية ٤٢٨
(٤٥) مشكلات النوع المرتبطة ببرامج الإصلاح الهيكلي ٤٣٦
(٤٦) دراسات المرأة بين منظور غربي وحضاري إسلامي ٤٣٩
(٤٧) ملامح رؤية إسلامية حول البيئة ٤٤٦

قائمة الأمثلة التطبيقية وقضايا النقاش

الموضوع	الصفحة
• أمثلة تطبيقية	١٥٤
مثال تطبيقي (١): الأمم المتحدة	١٥٤
مثال تطبيقي (٢): الفواعل من دون الدول: الحشد الشعبي نموذجًا	١٦٥
مثال تطبيقي (٣): المنظمات الدولية غير الحكومية وقضايا البيئة	١٧٢
مثال تطبيقي (٤): الحركات الاجتماعية العالمية والقضية الفلسطينية: بي دي إس (BDS) نموذجًا	١٧٤
مثال تطبيقي (٥): الديون الخارجية والدول منخفضة ومتوسطة الدخل	٣٢٨
مثال تطبيقي (٦): خبرة حوار الجنوب- الجنوب	٣٦٦
مثال تطبيقي (٧): مثال تطبيقي: شركة بلاك ووتر (Black Water)	٣٨٨
مثال تطبيقي (٨): بعض الجرائم المنظمة العابرة للحدود	٣٩٦
مثال تطبيقي (٩): بنك الفقراء (بنك جرامين)	٤٠٤
مثال تطبيقي (١٠): الحالات التي يندرج تحتها التدخل الإنساني: الإبادة الجماعية	٤٢٧
• قضايا للنقاش:	٢٠٠
قضية للنقاش (١): هل الشركات متعددة الجنسية ضرورة للتنمية الاقتصادية في الجنوب؟	٢٠٠
قضية للنقاش (٢): مستقبل العولمة في ظل جائحة كورونا	٣٣٩
قضية للنقاش (٣): حركة عدم الانحياز: إلى أين؟	٣٧٠

●●●

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

(١)

إن فكرة إصدار كتاب مقدمة/ مدخل إلى علم «العلاقات الدولية» على مستوى مرحلة البكالوريوس تظل دائمًا فكرة تراود أساتذة هذا الحقل المهتمين بالتنظير، وقد راودتني أنا أيضًا منذ بداية عملي كعضو هيئة تدريس ١٩٨١. ولقد شهد الحقل خلال العقود السابقة صدور عدة كتب مقدمات في العلم تنوعت في مستوياتها ودرجات شمولها... وفي حين استغرقني التدريس على مستوى الدراسات العليا وزادت الشُقة بيني وبين هدفي الابتدائي، إلا أنني ازدتُ قناعةً بالحاجة إلى إصدار باللغة العربية على مستوى البكالوريوس، وتولّدت هذه القناعة بالتدريج نتيجة عدة اعتبارات:

في مقدمتها أن احتياجات الطالب العربي لم تعد تستقيم وما درج عليه تدريس علم السياسة بصفة عامة، والعلاقات الدولية بصفة خاصة؛ باعتباره نظريات غربية واقعية بالأساس تدعي العالمية العلمية. فلم تعد الترجمات المنقولة حرفيًّا عن رواد علم العلاقات الدولية الغربيين سائدة بمفردها. حيث بدأت تظهر شيئًا فشيئًا منذ نهاية الثمانينيات اتجاهات نقدية في الأكاديميا العربية والمصرية، بل في دوائر أكاديمية غربية أيضًا. وذلك في وقت تكالبت فيه آثار العولمة على العالم ككل وعلى أمتنا العربية والإسلامية وأوطاننا، على نحو فجَّر أنماطًا من الجدل والنقاش حول الهيمنة ومقاومتها من ناحية، وحول رفض الأحاديات النظرية والفكرية من ناحية أخرى بحثًا عن التعددية والتنوع، وسعيًا نحو عالم أكثر إنسانية وعدالة وحرية، ونحو علم سياسة وعلاقات دولية أكثر تعددية وتحررًا من أسر الوضعية الواقعية الأمريكية والغربية بصفة عامة.

فلم تكن حالة العلم منذ انتهاء الحرب الباردة بعيدة عن حالة التغير في العالم. ولذا، لم يعد من المقبول أن تظل جامعاتنا العربية حبيسة أسر الواقعية والوضعية التقليدية، فهي لم تعد فقط تتواءم وحالة العلم الجديدة، بل لم تعد تتواءم أيضًا مع حالة المراجعات المجتمعية والسياسية الجارية بعمق، منذ عقود، في دوائر حضارية غير غربية متعددة، من المطالبة بتغيير عالمي، ومقاومة الهيمنة المعرفية والسياسية والاقتصادية والثقافية الغربية.

ومن ثم، أضحى السؤال التالي مطروحًا بقوة: ما صورة العالم التي يتلقاها طالب العلوم السياسية عن «النظام العالمي، ومحركاته وعملياته وفواعله وقضاياه ومنظومات قيمه؟»، وعن موضع أمته ودائرته الحضارية (جنوبًا كان أو عالم ثالث أو شرقًا أو . . .) مقارنة بالغرب أو الشمال أو العالم المتقدم أو الحضارة المهيمنة؟ وما مواصفات المراجع العلمية الواجب توافرها لتشكيل هذه الصورة عن العالم ومتطلبات دراسته، وليس فرض صورة أحادية عنه أو عن النظريات التي تقدمها للطلبة؟

(٢)

ولم يكن مركز الحضارة للدراسات والبحوث (مركز الحضارة للدراسات السياسية سابقًا) بمعزل عن الاهتمام بهذه التحولات العالمية من ناحية أو التحولات في التنظير الدولي من ناحية أخرى، وهي التحولات التي هزت جميعها الخطوط التقليدية الفاصلة بين العديد من الثنائيات (الداخل - الخارج، الدولة- النظام العالمي، الدولة- الفرد، المصالح-القيم، السياسة-الدين- الثقافة، . . .) وأفسحت الطريق أمام صعود إسهامات نظرية جديدة. يمكن أن نُسكِّنها في نطاق ما يسمى «دراسات حضارية دولية» ومنظورات حضارية مقارنة.

كما لم تكن جهود مركز الحضارة بمعزل عن الجهود العلمية والبحثية في نطاق الجماعة المصرية للعلوم السياسية في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة،

بجميع اتجاهاتها ومنظوراتها ومدارسها الفكرية السياسية. فلقد حدث التفاعل على أكثر من مستوى وفي أكثر من مناسبة علمية خلال العقود الثلاثة الأخيرة، وظل هدف إصدار سلسلة «مراجع علمية» وكتب مداخل فروع علم السياسة أحد الأهداف الأساسية للمركز. وقد قادنا تراكم جهود المركز العلمية -عبر الخطط الخمسية الأربع منذ تأسيسه (١٩٩٧-٢٠١٧) التي قام على إنجازها- إلى التصدي لهذا الهدف خلال خطته الخمسية الخامسة (٢٠١٨-٢٠٢٣)، ثم توالت الجهود -بعون الله وتيسيره- منذ صيف ٢٠١٨، وخاصة بالنسبة لترشيح المؤلف، وشاءت تدابير الله -سبحانه وتعالى- أن ييسر لهذه المهمة الدكتورة مروة فكري المدرس بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة، والتي تخرجت من الكلية ذاتها وكانت الأولى على دفعتها ١٩٩٩ بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، وسعدتُ بها تلميذة في مرحلتي البكالوريوس ثم الماجستير؛ حيث حصلت على الماجستير تحت إشرافي، ثم قدر الله تعالى لها أن تسافر للولايات المتحدة الأمريكية منذ زواجها وتحصل على الدكتوراه من أكبر الجامعات الأمريكية، هي وزوجها الدكتور عمرو عثمان ومرافقتها إياه لنحو عقد ونصف العقد للآن خلال مهامهما العلمية المتتالية في الخارج، وطوال هذه المدة لم ينقطع تواصلها العلمي والمهني مع كليتها الأم.

بدأت مهمة إعداد هذا الكتاب منذ زيارتها لي في نهاية صيف ٢٠١٨ في مقر مركز الحضارة، وحين سألتها عن طموحها العلمي الراهن -بعد توالي نشرها لعدد من الدراسات العلمية المهمة- أجابت بأن طموحها إعداد كتاب في مقدمة العلاقات الدولية، فعرضت عليها المهمة وتناقشنا في الخصائص المطلوبة للكتاب المنشود... وبعد ثلاثة أشهر تلقيتُ منها المخطط الأول للكتاب وسعدتُ به جدًّا؛ حيث أدركتُ أن المهمة يمكن أن تكتمل -فكم من مشروعات علمية مناظرة طلبتها من تلاميذ لي (في شكل عمل جماعي أو فردي) ولم يُقدر لها أن تبدأ-، وتوالى التواصل مع الدكتورة مروة طيلة ثلاثة أشهر لاحقة حتى اكتمل تصور الكتاب المطلوب، وتم التعاقد في فبراير ٢٠١٩ على إنجاز النسخة الأولى منه في يناير ٢٠٢٠، وبالفعل قامت الدكتورة مروة

بإنجازه في الموعد المقرر، وتم التحكيم العلمي للكتاب من جانبي، ثم قامت بإدخال التعديلات المطلوبة وتسليمها في نهاية أبريل ٢٠٢٠ لتبدأ عملية التحرير والإعداد للنشر بإذن الله وتوفيقه.

ولقد تزامن تحكيم الكتاب مع اندلاع جائحة كورونا في يناير ٢٠٢٠، وقد تفاقمت الأزمة عالميًّا وإقليميًّا مع مراحل إدخال التعديلات والتحرير والإعداد للنشر، ولم يكن من الممكن على المؤلف أو الناشر تجاوز هذه الحالة العالمية، ولكن لم يكن من الممكن حينئذ إلا الاقتراب العلمي المنظم لطرح أسئلة وصياغة سيناريوهات. فلقد كان الوضع أكثر تعقيداً وتركيبًا من القدرة على الادعاء بإمكانية تقديرات حاسمة لمآل التغيرات الجارية.

(٣)

يظل لهذا الكتاب إسهامه الخاص وطبيعته المتميزة سواء من حيث المضمون أو المنهج أو الأهداف:

أولاً: يعكس الكتاب (بدايةً من تحديد الأهداف في المقدمة ووصولاً إلى الخاتمة)، رؤية شاملة كلية، ذات صبغة حضارية ونقدية المنحى وتعددية، تبدأ من خرائط الواقع وصولاً إلى حالة التنظير. رؤية تهدف إلى نقد العولمة؛ بحثًا عن رؤية للعالمية تنبني على مفهوم وقيم التعددية.

وتتجسد تلك الرؤية في التقسيم العام للكتاب وفي مكونات فصوله من ناحية. كما تقوم مضامين هذه الفصول، من ناحية أخرى، على المقارنات بين منظورات متقابلة وعلى استحضار الأمثلة المتنوعة من واقع أقاليم العالم كافة. وقد اقتضت هذه المقارنات المعرفية والنظرية الانطلاق من مقدمات نظرية من أهمها «النماذج المعرفية المتقابلة» كأساس للتمييز بين المنظورات الوضعية والمنظورات المقابلة الباحثة عن عالمية غير وضعية. وعادةً لا تلقى مقدمات علم السياسة بصفة عامة والعلاقات الدولية بصفة خاصة (المؤلَّفة باللغة العربية) اهتمامًا بمثل تلك الجوانب المعرفية التي تساعد الطالب على فهم أسس الاختلافات الفكرية والنظرية.

ثانيًا: يعكس هيكل الكتاب منهجه المميز؛ فالمقدمات النظرية في فصله الأول تطرح تطور حالة العلم من مدخل المراحل المتعاقبة لهذا التطور، ومدخل المنظورات الكبرى وجدالاتها وخصائص كل من هذه المنظورات السائدة المتعاقبة، وكذلك خصائص الاتجاهات النقدية الصاعدة منذ نهاية الحرب الباردة بصفة خاصة. وبذا، فهذه المقدمات النظرية تشرح حالة التعدد القائمة في العلم من حيث تعدد المنظورات ومناط اختلافها (وهي: المفاهيم، والعمليات، والفواعل، . . .) وأسباب هذه الاختلافات.

أما فصول الكتاب المتوالية من الفصل الثاني وحتى الرابع، فتوضح أركانًا أساسية ثلاثة في التنظير الدولي وهي: القوى المحركة، والفواعل ومستويات التحليل، والعمليات والأدوات، وإن كان الطرح ينطلق من مقولات وافتراضات المنظورات الوضعية السائدة ابتداءً من الواقعية وصولاً إلى الماركسية، إلا أن هذا الطرح يساعد على المقارنة بين مقولات من المنظورات الغربية، كما يصل من ناحية أخرى إلى طرح مقولات مناظرة لدى اتجاهات نقدية ومنظورات حضارية غير غربية. وهو الأمر الذي اكتملت معه منهاجية المقارنة والتعددية النظرية. **وفي الفصل الخامس** تم اختبار هذا التنظير المتعدد بالتطبيق على قضايا عالمية معاصرة؛ حيث إن تصنيف هذه القضايا في حد ذاته وعرضها تراكميًّا يعكس رؤية فكرية ونظرية تعددية تجمع بين تصنيفات الواقعية والليبرالية وغيرها من منظورات حول القضايا العالمية، وعلى نحو يقدم صورة جامعة شاملة لجميع أنماط هذه القضايا وتفاعلاتها على الساحة العالميةً المعاصرة. ناهيك عن أن العرض النظري أو شرح المنظورات والنظريات لا يستقيم بدون الربط بالواقع وصفًا وتحليلاً وتفسيرًا.

إن هيكل الكتاب لا يترجم منهجه ومنطلقاته فقط، ولكن يجسد عنوانه الفرعي: **«من أزمة العولمة إلى آفاق العالمية»**، ومن هنا إبداع عنوان خاتمة الكتاب: **«نحو علم عالمي للعلاقات الدولية»**.

ثالثًا: فهذا الكتاب -باعتباره كتاب مقدمة/ مدخل للعلاقات الدولية - يقدم جرعة

نظرية ومعرفية تأسيسية مناسبة لتدريس مرحلة البكالوريوس؛ فهي جرعة تعريفية بالأساس لكنها ذات طابع نقدي تعددي؛ لتساعد الطالب على فهم التعدد والتنوع في العالم وعدم الوقوع في أحادية التفكير أو النظرية. ولذا فهو كتاب ينطلق من مقدمات نظرية ومعرفية من ناحية، ويستدعي أمثلة الواقع من ناحية أخرى. وذلك دون تفريط في تعريف الطالب بأساسيات العلم وخرائط نظرياته، ودون إفراط في الجرعة النظرية بما قد لا يتناسب مع مستوى مرحلة البكالوريوس، فلم تكن الغاية -إراديًّا أو لا إراديًّا كما تقع في ذلك معظم كتب المقدمات العربية- تقديم المنظور الواقعي الوضعي فقط أو العكس بتقديم رؤية مغايرة وناقدة للواقعية وفقط؛ فقد استطاع الكتاب أن يقدم الرؤى المتقابلة -السائدة والناقدة في حقل العلاقات الدولية- وبيان لماذا تتواجد جنبًا إلى جنب وفيما تختلف. وهو منحى مطلوب لتأسيس الطالب وتدريبه على فهم الاختلافات بين النظريات والرؤى والسياسات العالمية. بل في لمس موضع دائرته الحضارية بين هذه التنوعات والاختلافات النظرية والعلمية. بعبارة أخرى: إن من المطلوب في تدريس مقدمات العلم أن يعي الطالب أولاً أن العالم بقدر تعقده فإن التنظير له متعدد ومتنوع المداخل أيضًا، ثم أنْ يدرك الطالب ويفهم أسباب وضرورات هذا التعقد والتعدد والتنوع.

رابعًا: يتميز هذا الكتاب بالجمع بين النظري والتطبيق على الواقع، والجمع بين منظومات المفاهيم المقارنة والتمييز بين مستويات التحليل التقليدية والجديدة، وأخيراً انسياب المقارنات التراكمية بسهولة وعمق في آن واحد. فبقدر شمول خرائط المنظورات والنظريات في الكتاب، بقدر ما تتسم به من بساطة ووضوح أيضًا، وقد لعبت الأمثلة من الواقع دوراً أساسيًّا في الشرح. ومن هنا كانت أهمية الوسائل الإيضاحية المساعدة مثل الصناديق النصية الملونة التي قدمت أمثلة شارحة متنوعة، ومثل جداول المقارنات بين المنظورات والاتجاهات المختلفة. وأخيراً تقديم خريطة شاملة لقضايا عالمية معاصرة تنتقل بالطالب من التنظير الذي يستدعي الواقع الشارح، إلى خرائط قضايا الواقع. والتي تم التمييز بين أنماطها وشرح المواقف الفكرية والسياسية تجاهها على ضوء التغير الذي أحاط بمفاهيم الأمن من منظورات مقارنة.

(٤)

وأخيراً، وبعد تقدير الدكتورة مروة فكري على عطائها العلمي في هذا الكتاب، فإن الشكر واجب للمعهد العالمي للفكر الإسلامي على رعايته المعنوية والمادية لإصدار هذا الكتاب، في نطاق خطط التعاون العلمي السنوية مع مركز الحضارة للدراسات والبحوث.

كما أشكر دار النشر التي أنيط بها إصدار هذا الكتاب مع مركز الحضارة.

وأخيراً، أشكر فريق العمل بمركز الحضارة على المتابعة الفنية لأعمال هذا الكتاب، خاصةً كلاً من: الأستاذ مدحت ماهر (المدير التنفيذي لمركز الحضارة) والدكتورة أميرة أبو سمرة (المدرس بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية) والأستاذة ماجدة إبراهيم (باحث رئيس بالمركز)، على مساهمتهم في النقاش حول بعض الأفكار التحريرية للكتاب. وأخص بالشكر ماجدة إبراهيم على مراجعة الكتاب وإعداده للنشر.

والحمد لله رب العالمين..

الأستاذة الدكتورة

نادية محمود مصطفى(*)

القاهرة - يونيه ٢٠٢٠

●●●

(*) أستاذ العلاقات الدولية المتفرغ ورئيس أسبق لقسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة، ومدير مركز الحضارة للدراسات والبحوث بالقاهرة، ومدير أسبق لمركز البحوث والدراسات السياسية ومركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات بجامعة القاهرة.

مقدمة

وقف الرئيس الأمريكي جورج بوش (الأب) في عام ١٩٩٠ مخاطبًا الشعب الأمريكي والعالم بمناسبة إرسال الولايات المتحدة قواتها لتحرير الكويت من الغزو العراقي، وقيامها بقيادة تحالف دولي بتفويض من الأمم المتحدة لتنفيذ هذه المهمة. تحدث بوش عن المرحلة الجديدة للعلاقات الدولية على أنها حقبة تسودها الحرية والسلام والرخاء لكل شعوب العالم ودوله، وهو ما أسماه جورج بوش وقتها بـ«النظام العالمي الجديد»، في إشارة واضحة إلى انتهاء حقبة الحرب الباردة التي قسّمت العالم إلى معسكريْن أساسييْن: الرأسمالي والشيوعي.

أصبح هذا «النظام العالمي الجديد» الأساس الذي قامت عليه العولمة بشكلها المعاصر، والتي كانت تعبيرًا صريحًا عن هيمنة النظام الرأسمالي الليبرالي الغربي -والأمريكي تحديدًا- وقيمه الأساسية على العالم. وتم التعبير عن نظام العولمة على أنه «نهاية التاريخ» وأنه يتوجب على جميع الدول الأخرى اللحاق بالقطار الرأسمالي الليبرالي. ويهدف هذا التوصيف إلى إضفاء الصبغة العالمية على ثقافة ونظم واقتصادات وقيم العولمة. ومن ثم، أصبحت القيم غير الليبرالية سواء كانت شيوعية أو إسلامية أو كونفوشوسية رمزًا للتخلف والانغلاق وعدم التوافق مع عالم العولمة الآخذ في التطور.

كما سادت الادعاءات الخاصة بالمزيد من التجانس والسلم في العالم نتيجة للاعتماد المتبادل والانفتاح الاقتصادي، وقدرة العولمة على تحقيق الرفاهية والرخاء للجميع ونشر ثقافة الديمقراطية والحرية حول العالم. أدى هذا التوجه إلى الحديث عن القيم مرة أخرى بعد أن تم استبعادها وتهميشها لفترة طويلة، والتساؤل عن إمكانية التوافق بين المصلحة والقيم في العلاقات الدولية. إلا أنه سرعان ما أصبحت مصداقية ادعاءات النظام العالمي الجديد محل تساؤل مع اندلاع الحرب الأهلية في يوغوسلافيا السابقة في القلب

من أوروبا، وحرب الشيشان الأولى (١٩٩٤-١٩٩٦) بين روسيا وجمهورية الشيشان، وهي الصراعات التي لعبت فيها الهوية الدينية والعرقية دوراً أساسيًّا في الحرب، وفي خرائط التقسيم السياسي فيما بعد. وازدهرت التفسيرات المنطلقة من نموذج «صراع الحضارات» الذي تحدث عنه صامويل هانتنجتون[1](Samuel Huntington)، والتي اكتسبت قدراً أكبر من المصداقية مع هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ وتصوير الهجمات على أنها هجوم على حضارة الغرب وقيمه يتطلب «حربًا صليبية جديدة»، على حد تعبير الرئيس الأمريكي آنذاك جورج بوش (الابن)، ونشر الحرية والديمقراطية في تلك الأجزاء من العالم. وقد أدت عمليات إعادة التشكيل في مناطق مختلفة في العالم، ولا سيما في العالم الإسلامي، إلى تزايد الاهتمام بالأبعاد الدينية والثقافية والحضارية وتشابكها مع نظائرها السياسية والاقتصادية والعسكرية. فتح هذا الاهتمام المجال أمام بحث تأثير الأفكار والمعتقدات على العلاقات بين الأمم بعد أن سيطرت الأبعاد المادية فقط على النظرة لهذه التفاعلات.

كشفت التطورات اللاحقة والمتمثلة في الحرب على أفغانستان (٢٠٠١) ومن بعدها على العراق (٢٠٠٣) أبعاداً جديدة لأزمة علم العلاقات الدولية التقليدي القائم على استقلالية المجال الخارجي عن الداخلي. فقد كشفت الأحداث عن درجة ونطاق تأثير الخارجي على الداخلي بحيث تداعت الحدود الفاصلة بينهما، ولم يعد الاختراق قاصراً على النطاقات السياسية والاقتصادية التقليدية، بل يتخذ أيضًا شكل الاختراق العسكري، واختراق النطاقات الثقافية والاجتماعية الداخلية.

يُهمش حقل العلاقات الدولية خبرة الجنوب ولا يعبر عن تطلعات شعوبه

ومن ثم، فإنه من المشروع التساؤل عن مصداقية علم العلاقات الدولية في صورته السائدة في التعبير عن واقع شعوب الجنوب ومصالحها وقيمها وتطلعاتها، ومنها شعوب العالم الإسلامي، وما إذا كانت الرواية الغربية المسيطرة على حقل العلاقات الدولية هي الرواية الوحيدة الممكنة.

(1) Samuel Huntington. **The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order.** (New York: Simon & Schuster, 1997).

بداية، يسلم الباحثون بأن حقل العلاقات الدولية علم غربي النشأة والتأسيس. وينعكس ذلك بوضوح على الموضوعات والقضايا محل الاهتمام. كما يبرز ذلك أيضًا في الطريقة التي يتم بها توظيف التاريخ -إن وُظف- في دراسة موضوعات هذا الحقل الدراسي. يعد أبرز الأمثلة على ذلك هو ربط أساس النظام الدولي بمعاهدة صلح وستفاليا ١٦٤٨، وكأن كل المراحل التاريخية التي سبقتها لا ينطبق عليها مسمى النظام الدولي، وكأن العلاقات الدولية ظهرت فقط مع صلح وستفاليا. دفعت هذه المكانة المهيمنة لنموذج وستفاليا بدارسي العلاقات الدولية إلى تجاهل الأنواع الأخرى من النظم والترتيبات الدولية التي لها آلية للقوة والأفكار مختلفة كلية عن النموذج الوستفالي، مثل نظام العمارنة والتفاعلات التي حدثت بين حكام مصر وبابل وآشور وغيرهم في القرن الرابع عشر قبل الميلاد والتي يراها البعض أول نظام دولي عرفه العالم[١]، وكذلك النظام الدولي في شرق آسيا بين الصين وجيرانها وما تضمنه من شعور عميق بشرعية التسلسل الهرمي، والتفاعلات الخاصة بالدولة الإسلامية سواء بين مكوناتها المختلفة أو بينها وبين غيرها من الأمم، وذلك في ظل الخلافات المتعاقبة، وهي الأمثلة التي سنتناولها لاحقًا في الكتاب.

يتحيز حقل العلاقات الدولية للتاريخ الأوروبي والميراث الغربي، وهو ما توافق على تسميته بالمركزية الأوربية (Eurocentrism)

وتسببت الهيمنة الأمريكية الواضحة على حقل العلاقات الدولية في نفي صفة العالمية عنه؛ لأنه لا يعكس أصوات وخبرات ومعارف ومساهمات سائر المجتمعات والدول في العالم، وغالبًا ما يهمش مَنْ هم خارج دول المركز في الغرب. فالحضارة الغربية ذاتها التي يتم دائمًا إرجاعها للتراث اليوناني والروماني، استفادت استفادة كبيرة من إسهامات الحضارات الأخرى، لا سيما الإسلامية والصينية. وعلى الرغم من ذلك، لا يتم الاعتراف بهذا الإرث التفاعلي الحضاري. كما أن الطبيعة الفردية في الرؤية

(١) فاروق إسماعيل. «مراسلات العمارنة الدولية: وثائق مسمارية من القرن ١٤ ق.م». **سلسلة دراسات آثارية**. مجلد ٤، د.ت.

الغربية لا تفيد كثيراً في فهم الكثير من سياسات الدول الإفريقية المستندة إلى ثقافة المجموع وليس الفرد، تمامًا كما لا يفيد المفهوم الغربي عن السيادة المرتكز على الدولة في فهم ديناميكيات أخرى محددة لمسار الأحداث في سياقات أخرى، وأهمها الديناميكيات القبلية والمذهبية.

وتكشف النظرة السريعة للكثير من كتب العلاقات الدولية هذا التحيز للتاريخ الأوروبي والميراث الغربي، وهو ما اتفق على تسميته بالمركزية الأوروبية (Eurocentrism)، أو بالأصح الغربية. فتاريخ العلاقات الدولية بشكل عام هو تاريخ أوروبا، وواقعها يدور حول الغرب بالأساس. كما أن القضايا محل الاهتمام عكست بدرجة مطلقة اهتمامات الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة منذ الحرب العالمية الثانية. ويظهر هذا بوضوح في مرحلة الحرب الباردة والاهتمام الأكبر الموكل للقضايا الأمنية والعسكرية والجيوسياسية. بل إن وصف مرحلة الحرب الباردة ذاتها على أنها مرحلة «سلام طويل» ينمُّ عن تحيز للخبرة الغربية على حساب المئات من الصراعات وحروب الوكالة التي أُزهقت فيها خلال هذه المرحلة أرواح الكثيرين خارج أوروبا. كما يكشف هذا التحيز عن نظرة الاقترابات الأساسية في العلاقات الدولية للعالم الثالث/ الجنوب بوصفه مكونًا هامشيًّا في الرواية الأساسية للسياسة العالمية بدليل إهمال دراسة أثر عوامل العرق والاستعمار والإمبريالية على دول الجنوب.

علم العلاقات الدولية
ما العلم؟
ما المقصود بالعلاقات؟
هل هي الدولية أم العالمية؟

لم يقتصر هذا التحيز على أجندة الموضوعات، بل امتد أيضًا إلى الأطر النظرية والمنظورات المفسرة للعلاقات الدولية. فقد ارتبط صعود منظورات العلاقات الدولية وهبوطها بطبيعة علاقات القوى في النظام الدولي واهتمامات الدول الكبرى. لا يعني هذا أن واقع العلاقات الدولية هو المتغير المستقل بالضرورة والمتغير التابع هو نظريات العلاقات الدولية، فالعكس أحيانًا صحيح أيضًا، بمعنى أن تصور واقع العلاقات الدولية كما تفهمه النظرية يطبع العلاقات الدولية بطابع معين.

وجاء انهيار الاتحاد السوفيتي كاشفًا عن أزمة الحقل، وتحيزاته المعرفية التي أدت إلى الفشل في التنبؤ بمثل هذا التطور الجذري. وعلى الرغم من أن تطور العولمة المعاصرة الذي أعقب نهاية الحرب الباردة عمد إلى طبع الحقل بأفكار معينة حول العلاقة بين السلام والليبرالية الرأسمالية، فإنه سرعان ما فتحت هذه الأزمة الباب أمام نقد حالة هذا الحقل الدراسي وظهور رؤى واقترابات أخرى -من داخل الغرب ذاته- لوصف العلاقات الدولية وفهمها وتحليلها. وقد بدأت المراجعة في السبعينيات من القرن الماضي، إلا أنها مع العولمة اتخذت أبعادًا جديدة لم يتم مناقشتها من قبل، فهل تنفي هذه الهيمنة الغربية -الأمريكية تحديدًا- أي إمكانية للتعدد وتوسيع الحقل ليكتسب بحق صفة العالمية؟

ارتبط صعود منظورات العلاقات الدولية وهبوطها بطبيعة علاقات القوى في النظام الدولي واهتمامات الدول

يمثل هذا التساؤل المحور الأساسي لهذا الكتاب في تقديمه لحقل العلاقات الدولية. فالعولمة هي آخر تجليات الهيمنة الغربية على الحقل كونها تضفي طابعًا عالميًّا على مجموعة من القيم والموضوعات التي تمثلها وتعتبرها مشتركًا إنسانيًّا صالحًا للتطبيق في كل السياقات السياسية والاقتصادية والحضارية الثقافية المختلفة (ما يطلق عليه التنميط). أي أنها تفرض نمطًا ثقافيًّا واحدًا لتغيير البنية الفكرية للمجتمعات الإنسانية بما لا يتناسب بالضرورة مع طبيعتها وما تأسست عليه من قيم وأديان. وعلى هذا، فإن العولمة بصورتها السائدة التي تتجاهل التعددية والتنوع الموجودين في العالم إنما هي مضاد للعالمية الحقة التي تعترف بالتعددية والتنوع وتمثل تاريخ وخبرات الأمم والجماعات التي طالما همشها حقل العلاقات «الدولية» الغربي وتجاهلها.

هذا الكتاب هو محاولة لتقديم العلاقات الدولية باعتباره حقلاً دراسيًّا عالميًّا يعكس حقيقة التعددية الموجودة في العالم، ويتجاوز عن المركزية الغربية التي طالما سيطرت عليه، من خلال إبراز الاختلاف بين العالمية التعددية والعولمة «التنميطية»، والبحث في

نظريات ومناهج جديدة للعلاقات الدولية من داخل الخبرات التي سبق وهُمشت من قبل، إضافة إلى استكشاف الطرق المتعددة والمختلفة التي تواجه من خلالها الحضارات بعضها البعض. فنحن لا نتساءل فقط عن ماذا ندرس وكيف ندرس العلاقات الدولية، ولكن أيضًا: لماذا نقوم بذلك. فإذا كانت العلاقات الدولية علمًا اجتماعيًّا يفترض أن يكون هدفه تحسين حياة الفرد والمجتمعات بشكل عام، فإن هذا لن يتحقق إلا بفهم جيد لواقع العلاقات الدولية والإطار القيمي والفكري والثقافي الذي يحكمها. وليس هذا موقفًا مثاليًّا منفصلاً عن الواقع؛ لأن الفكرة الحاكمة للكتاب تنطلق من واقع التعددية الموجودة في العلاقات الدولية أولاً، ثم تعود إليه مرة أخرى لتمثيل هذه التعددية والسعي وراء إمكانية التعايش في ظل التنوع.

ينتج عن تعدد العلاقات الدولية وتنوعها على هذا النحو تعدد في فهم طبيعتها وطرق دراستها والعناصر المكونة لها. ويحضرنا في هذا السياق قصة الفيل والعميان الستة. وفقًا للرواية، تناهى إلى سمع ستة عميان أن فيلاً كبيرًا سوف يأتي إلى بلدتهم في احتفال مقام فيها. فذهبوا إلى حاكم البلدة وطلبوا منه أن يسمح لهم بلمس الفيل لأول مرة في حياتهم؛ لأنهم دائمًا ما سمعوا عن الفيل لكنهم لم يتصورا شكله قط. وافق الحاكم على طلبهم شريطة أن يلمس كل منهم جزءًا واحدًا من الفيل ويصفه فيما بعد بكلمة واحدة. وفي اليوم المحدد، أحاط الرجال بالفيل وبدأ كل واحد منهم بلمسه، وعندما انتهوا شرعوا في وصفه أمام الحاكم والحشد الكبير من العامة، فقال أولهم الذي لمس الذيل إن الفيل أقرب ما يكون إلى الحبل، بينما قال الثاني الذي لمس الجسم إنه مثل الحائط، والثالث وصفه بأنه مثل الخنجر الكبير لأنه لمس الناب، في حين شبهه الرابع بالثعبان لأن يده لمست خرطوم الفيل، ووصفه الخامس بالمروحة نظرًا لتحسسه إحدى الأذنين، وأخيرًا وفقًا للسادس فالفيل ما هو إلا جزع شجرة واصفًا في الحقيقة قدمه. والمغزى هنا أن كلاً منهم أصاب جزءًا من الحقيقة؛ لأنه أدركها من زاوية واحدة مختلفة عن الآخرين.

إن الفيل الذي نتحدث عنه في هذا الكتاب هو العلاقات الدولية التي اختلف تصورها وفهم طبيعتها وعناصرها باختلاف الزاوية التي يُنظر إليها منها. نطلق على هذه الزوايا المختلفة مسمى «المنظورات» وهي التي شكلت هوية هذا الحقل الدراسي ورسمت حدوده، وحددت كيفية دراسته، وارتبطت في الوقت نفسه بالتغير في واقع العلاقات الدولية. وبقدر ما يبرز تعدد هذه الرؤى التنوع والاختلاف في الحقل، بقدر ما يكشف عن غياب -وربما استبعاد- رؤى حضارية أخرى قد تكون أكثر تعبيراً عن واقعها مثل تلك النابعة من القارة الإفريقية والصين والعالم الإسلامي. ومن هنا فإن اعتماد أسلوب المقارنة في الكتاب أساسي لتوضيح نقاط الاختلاف والاتفاق بين هذه الرؤى المسيطرة وتلك البديلة، وكيفية مساهمتها في تطور عالمية الحقل.

وتدور هذه الاختلافات بشكل عام حول المقصود بكل مكون من مكونات مسمى الحقل، أي ما المقصود بالعلم (من حيث موضوعه ومنهجه)، والعلاقات (عسكرية سياسية أم اقتصادية أم ثقافية، وهل هي علاقات صراعية أم تعاونية أو دعوية ...)، والدولية (هل تقتصر على الدول، أم تشمل المنظمات الدولية وغيرها من المستويات فوق الدولة وتحتها أيضًا).

المنظور:
- **يعد المنظور بمثابة النظارة التي تشكل الرؤية للوجود من حولنا [جيمس روزيناو]**
- **إن المنظور هو الدليل والخطة [منى أبو الفضل]**

ومن ثم فالكتاب يروي حكاية حقل دراسي يدعى تمثيل العالم، ولكنه أبعد ما يكون عن هذا. ونظراً لمحورية فكرة العولمة في المرحلة المعاصرة ومحاولة وسمها بشمول العالم وتمثيله على اختلافه، فإن الكتاب يتخذ من العولمة منطلقًا لدراسة العلاقات الدولية بتفاعلاتها المختلفة، مع الأخذ في الاعتبار المراحل التي سبقت العولمة بتطوراتها النظرية والتطبيقية؛ ويرجع اختيار مرحلة العولمة كنقطة انطلاق للكتاب لما أثارته من تساؤلات حول ما إذا كان عالم ما بعد الحرب الباردة هو بمثابة عصر جديد أم لا. وأبرزت الإجابات المختلفة عن هذا السؤال الكثير

من التحدي للعديد من الأفكار والمفاهيم والافتراضات التقليدية عن العلاقات الدولية خاصة ما يتعلق بالفصل بين المجالين الداخلي والخارجي، والتهميش السابق للقضايا الثقافية، والتركيز على الدولة القومية دون غيرها من الفواعل. وقد أبرزت هذه الإجابات تعددية الاقترابات -حالة السيولة- داخل حقل العلاقات الدولية، وهو الأمر الذي يعني أن فهم طبيعة وخصائص العلاقات الدولية والنظام الدولي بعد الحرب الباردة، ودراسة أطروحات العولمة ما هما إلا وجهان لعملة واحدة.[1] وهكذا، تصبح تعددية الاقترابات في تناول العولمة بمثابة نقطة بداية لتعقب الاستمرارية والتغير في الحقل الدراسي. في الوقت نفسه، تُلقي الاقترابات المختلفة الضوء على التعددية في داخل المنطلقات الغربية؛ بما يفتح المجال أمام مساهمات حضارية غير غربية والتي طال تهميشها.

كما أن اختيار مرحلة العولمة كمنطلق للكتاب يعززه ما أثارته أزمة جائحة كورونا من العديد من الأسئلة المتعلقة بمستقبل العولمة بأبعادها المختلفة السياسية والاقتصادية والثقافية والبيئية. وهو الأمر الذي يجعلنا نعيد التفكير في الكثير من المسلَّمات التي فرضتها العولمة والتساؤل حول الكثير من المفاهيم والمعاني التي ارتبطت بها وبالنموذج الذي تمثله، وما إذا كانت العلاقات الدولية قبل كورونا ستختلف عما بعدها. ويستدعي هذا الأمر بدوره الوقوف على الاستمرارية والتغير في العلاقات الدولية وكيف يمكن أن تؤدي أزمة مثل جائحة كورونا إلى تعزيز الاستمرارية أو الدفع إلى التغيير.

وبناء على ذلك، ينقسم الكتاب إلى: مقدمة نظرية (الفصل الأول)، يعقبها أربعة فصول تغطي أهم الأبعاد النظرية والتطبيقية لدراسة العلاقات الدولية المعاصرة (الفصول من الثاني إلى الخامس). ويأتي في نهاية كل فصل ملخص للأفكار الأساسية التي انطوى عليها ومجموعة من الأسئلة للمناقشة.

(١) للمزيد حول الجديد في مرحلة العولمة، انظر: نادية محمود مصطفى. «مسار علم العلاقات الدولية بين جدال المنظورات الكبرى واختلاف النماذج المعرفية». في: نادية محمود مصطفى (محرر). العلاقات الدولية في عالم متغير: منظورات ومداخل مقارنة (الجزء الأول). (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، ٢٠١٦)، ص ص. ٧٠-٧٢.

أولاً- مقدمات نظرية:

يبدأ هذا الجزء بمقدمة تمهيدية مختصرة عن النماذج المعرفية وانعكاساتها على التنظير، وكذلك على النظرة إلى العلاقات الدولية. يتيح هذا الأمر دراسة نشأة هذا الحقل الدراسي وتطوره. ولما كانت المنظورات بمثابة الخريطة والدليل الذي يرشد دارس العلاقات الدولية في فهمه لهذه الظاهرة متعددة الأبعاد والمتشابكة -يقدم هذا الجزء مناقشة للمنظورات الكبرى التي تعاقبت على الحقل وافتراضاتها الأساسية، إضافة إلى إبراز العلاقة بينها وبين التطورات في واقع العلاقات الدولية ذاتها وانعكاس ذلك على النظرة «للعلم» (الموضوع والمنهج)، وما تشير إليه «العلاقات» (التفاعلات المختلفة)، والمقصود بـ «الدولية» وما إذا كانت أصدق في التعبير عن واقع العلاقات الدولية. وتعتمد هذه المنظورات على مجموعة من المفاهيم التي تقيم عليها تصورها لطبيعة العلاقات الدولية. وبالتالي فإن عرض هذه المفاهيم التأسيسية خطوة مهمة في تعزيز فهمنا لها. وتتعلق النقطة الأخيرة في الفصل بالتطور المصاحب لظاهرة العولمة وتوليدها لاقترابات بديلة في دراسة العلاقات الدولية بما يوجه الحقل نحو التعددية والعالمية الحقة البعيدة عن القولبة التي تشجعها العولمة في ثوبها النيوليبرالي (الليبرالي الجديد).

ثانيًا- الفصل الثاني: الفواعل الدولية ومستويات التحليل:

انطلاقًا من العلاقة بين الفواعل الدولية ومستويات التحليل، يناقش هذا الفصل التطور الذي طرأ على مفهوم الفاعل الدولي منذ معاهدة وستفاليا ١٦٤٨ وهيمنة نموذج الدولة القومية وصولاً إلى مرحلة العولمة المعاصرة. ويناقش الفصل في هذا الإطار وضعية الدولة القومية وهيمنتها على حقل وواقع العلاقات الدولية بوصفها التنظيم السياسي الوحيد المقبول، فضلاً عن توضيح الأسس التي قام عليها النظام الدولي خاصة ما يتعلق بالعلاقة بين الداخلي والخارجي وسيادة الدولة وعدم التدخل في الشئون الداخلية، والتركيز على سياسات القوى الكبرى بشكل خاص. كما يناقش

الفصل اختلاف المنظورات حول أثر العولمة على نموذج الدولة القومية، مع التركيز على الآثار المتعلقة بالدولة في الجنوب. كما يناقش الفصل الأمثلة المختلفة للفواعل من غير الدول والتي برز دورها مع التطورات المتلاحقة للعلاقات الدولية، بدءًا بالمنظمات الدولية وانتهاء بالفرد. ويفرد الفصل مساحة للمفاهيم المقارنة للدولة من منظورات حضارية غير غربية، ناهيك عن المفاهيم المقارنة من المنظورات الغربية الكبرى.

ثالثًا- الفصل الثالث: القوى المحركة للعلاقات الدولية:

يقارن هذا الفصل بين وجهة نظر المنظورات التقليدية والبديلة للعلاقات الدولية حول القوة/ القوى المحركة للعلاقات الدولية. فقد قدمت المنظورات والاقترابات المختلفة للعلاقات الدولية مجموعة متعددة من المحركات من أهمها القوة. وقد طرأ تغيير في فهمها من القوة العسكرية إلى الاقتصادية إلى القوة «الناعمة» المتمثلة في الأفكار، وكذلك الفضاء الإلكتروني بوصفه رمزًا جديدًا من رموز القوة. كما ارتبطت العلاقات الدولية أيضًا بفكرة المصلحة. ففي الوقت الذي أكدت فيه بعض الرؤى الغربية على تعارض المصلحة مع القيم، فإن رؤى حضارية أخرى لا تفترض حتمية هذا التعارض. وفي الوقت الذي تركز فيه الرؤى الغربية بالأساس على المصلحة الفردية، تنطلق رؤى أخرى من رؤية جماعية لا ترتكز بالضرورة على الفرد، أو دولة بعينها. هناك أيضًا الصراع بوصفه محركًا أساسيًّا للعلاقات الدولية وفقًا لوجهات نظر تقليدية، وتتنوع أشكاله من الصراع على القوة إلى الصراع الحضاري وصراع الهويات. هناك أيضًا الأفكار التي ركزت على الدور المهم للترتيبات المؤسسية في ضبط العلاقات الدولية وتحديدًا في منع الصراعات. كذلك مثلت الرأسمالية عند اقترابات أخرى القوة الدافعة في تطور العلاقات الدولية وارتباط تطور الأخيرة بالتطور الرأسمالي. هناك أيضًا القومية والهوية والدين باعتبارها محركات للعلاقات الدولية والتي برز الحديث عنها منذ انتهاء الحرب الباردة. وأخيرًا، برز دور الأفكار والتصورات بوصفها محركًا للعلاقات الدولية مع حركة المراجعة التي لحقت بالحقل منذ انتهاء الحرب الباردة أيضًا.

رابعًا- الفصل الرابع: العمليات الدولية وأدواتها:

يقترب هذا الفصل من مجموعة من العمليات التي تنطوي عليها السياسات العالمية، والأدوات التي يتم توظيفها في إدارتها. ويتم هذا التناول من خلال الربط بين مستويات التحليل والعمليات الدولية والذي ينتج عنه مجموعتان أساسيتان من العمليات: العمليات التي تتم على المستوى الكلي للتحليل (النظام الدولي، الأمة)، وعمليات تتم على المستوى الجزئي للتحليل (النظام الإقليمي، الدولة، الفرد). وفي هذا السياق، تظهر العولمة كأبرز عمليات المستوى الأول والتي شغلت الاهتمام الأكاديمي منذ نهاية الثمانينيات، والتي لا تنفك دراستها وفهم آثارها دون الإشارة إلى التحولات في هيكل النظام الدولي وتوزيع القدرات بين أقطابه، وانعكاسات ذلك على الفواعل المتوسطة والصغرى في العلاقات الدولية، وكذلك طبيعة توظيف أدوات معينة في هذا السياق مثل الحرب والمساعدات/ العقوبات الخارجية... إلخ. على المستوى الجزئي، أثرت العولمة على العديد من العمليات التي كانت حكرًا على الدولة مثل السياسة الخارجية والتي من أبرز أدواتها الدبلوماسية والحرب، وكذلك الوظيفة الاقتصادية تحت تأثير العمليات الخاصة بالتجارة والاستثمار الدوليين. كما يتعرض الفصل لمجموعة الاستجابات سواء على المستوى الإقليمي فيما يطلق عليه الإقليمية الجديدة، أو على مستوى الأفراد الذين يعملون على تنسيق الجهود لمناهضة تيار العولمة والعمليات المرتبطة معه، وكلها تطورات تثير في النهاية الحديث عن مستقبل العولمة ذاتها.

خامسًا- الفصل الخامس: القضايا العالمية المعاصرة:

يناقش هذا الفصل مجموعة من القضايا التي كانت ولا تزال محل اهتمام على أجندة العلاقات الدولية سواء من الناحية النظرية أو العملية. وكانت قضية الأمن دومًا واحدة من القضايا محل اهتمام داخل حقل العلاقات الدولية؛ ولذلك يستهل الفصل بمناقشة هذه القضية واستعراض المعاني والمضامين التي لحقت بمفهوم الأمن، بدءًا من

الأمن العسكري، مروراً بالأمن الاقتصادي، وانتهاء إلى الأمن الإنساني. كما يستعرض الفصل أساليب مقاومة الهيمنة الموجودة على الأصعدة المختلفة والتي تعبر من خلالها الفواعل المختلفة عن تصوراتهم لكيفية ضمان أمنهم.

ونتيجة لارتباط التطور في مفهوم الأمن بمجمل التغيرات التي لحقت بالقضايا محل الاهتمام في حقل العلاقات الدولية، يقسم الفصل القضايا المعاصرة إلى ثلاث مجموعات من القضايا، مع التأكيد على أن الفصل بينها هو فصل لأغراض الدراسة، ولكن الأصل هو التشابك والتداخل والترابط بين الأبعاد المختلفة في هذه الموضوعات. تتعلق المجموعة الأولى بالقضايا ذات الطابع الأمني التقليدي، ونركز هنا على دراسة قضايا الإرهاب والجريمة المنظمة والحد من الانتشار النووي والصراعات المسلحة والثورة. أما المجموعة الثانية، فهي مجموعة القضايا ذات الطابع الاقتصادي والتي تتعلق بقضايا التنمية والفقر والمجاعة والتفاوت بين الشمال والجنوب. أما المجموعة الثالثة، فهي مجموعة القضايا القيمية مثل تلك المتعلقة بحقوق الإنسان، والتدخل العسكري لأغراض إنسانية، والمرأة، والبيئة.

خاتمة- نحو علم عالمي للعلاقات الدولية:

نقدم في الخاتمة خلاصة للأفكار الأساسية التي يمكن إثارتها فيما يتعلق بأزمة العلاقات الدولية في ظل العولمة، سواء من الناحية النظرية وطبيعة الأفكار السائدة في الحقل، أو من الناحية العملية المتمثلة في القضايا والمشكلات التي يتسبب فيها مثل هذا النوع من التفكير؛ وذلك لمحاولة بلورة الملامح التي ينبغي أن يتسم بها حقل العلاقات الدولية حتى يحقق عالميته المنشودة. كما تطرح الخاتمة أسئلة عن آفاق تأثيرات أزمة كورونا التي اجتاحت العالم تزامنًا مع إعداد هذا الكتاب للنشر.

ونود الإشارة في خاتمة هذا التقديم إلى أنه في خلال هذا الكتاب سيجد الطالب الكثير من المفاهيم التي يتم تسليط الضوء عليها، من خلال إبرازها في صندوق صغير على الجانب الأيمن من الصفحة. كما تتواجد صناديق صغيرة أخرى على الجانب

الأيسر للعديد من الصفحات والتي تنطوي: إما على معلومات سريعة، أو تبرز خلاصات مهمة في الجزئية محل النقاش. كما سيجد القارئ العديد من الصناديق الكبرى (زرقاء اللون) التي تتضمن معلومات إضافية لتعميق فهم معين، أو أخرى (خضراء اللون) تتعلق بأمثلة تطبيقية ذات علاقة بالموضوع محل النقاش، وثالثة خاصة بموضوعات نقاشية (برتقالية اللون). وفي ختام الفصل المحدد، سيجد القارئ ملخصًا لأهم النقاط الواردة فيه، إضافة إلى قائمة بأهم المفاهيم والمصطلحات التي وردت في الفصل والتي ينبغي معرفتها جيدًا. وأخيرًا، هناك مجموعة من الأسئلة التي تساعد على استرجاع المعلومات الأساسية في الفصل أو التي تتطلب قدرًا من التفكير النقدي.

●●●